

دلائل الإعجاز

(فكيف وكلّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ ... ولا لامرئٍ عَمَّا قَضَىٰ إِلَّاءُ مَزْحَلٌ)

المعنى عِلَّاي نَفِيّ أَنْ يَعْدُوَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ حِمَامَهُ بِالشُّبْهَةِ . ولو قلتَ :
فكيفَ وليس يعدو كلُّ حِمَامَهُ فَأَخَرْتَ " كلا " لأفسدتَ المعنى وصرتَ كأنك تقولُ :
إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْلُمُ مِنَ الْحِمَامِ وَيَبْقَى خَالِدًا لَا يَمُوتُ . ومثله قولُ دَعْبِلَ مِنْ
- الطويل - : .

(فوالله ما أدري بأيِّ سِهَامِهَا ... رَمَتْنِي وَكُلُّ عِنْدَنَا لَيْسَ بِالْمُكْدِي) .
(أبا الجيدِ أَمَّ مَجْرَى الْوِشَاحِ وَإِنَّ نَبِيَّ ... لأُتْهِمُ عَيْنَيْهَا مَعَ الْفَاحِشِ
الجعدي) .

المعنى عِلَّاي نَفِيّ أَنْ يَكُونَ فِي سِهَامِهَا مُكْدٍ عَلَى وَجْهِ مَنْ الْوُجُوهَ . ومن البَيِّنِ
فِي ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ذِي الْيَدَيْنِ قَالَ لِلنَّبِيِّ : أَقَمْتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ فَقَالَ : " كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ " . فقال ذو اليدين : بَعْضُ ذَلِكَ قَدْ كَانَ . المعنى :
لَا مُحَالَةَ عَلَى نَفِيّ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا وَعَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا
لَا الْقَاصِرُ وَلَا النِّسْيَانُ . ولو قِيلَ : لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ لَكَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ
بَعْضُهُ .

واعلمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَعْنَى مَعَ إِعْمَالِ الْفَعْلِ الْمُنْفِيّ فِي " كُلُّ " نَحْوُ : لَمْ
يَأْتِنِي الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَلَمْ أَرِ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ . عَلَى أَنَّ الْفَعْلَ قَدْ كَانَ مِنَ الْبَعْضِ
وَوَقَعَ عَلَى الْبَعْضِ قُلْتُ : لَمْ يَأْتِنِي الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَلَكِنْ أَتَانِي بَعْضُهُمْ . وَلَمْ أَرِ الْقَوْمَ
كُلَّهُمْ وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ فَأُثْبِتَ بَعْدَ مَا نَفَيْتَ . وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ رَفْعِ " كُلُّ " .
بِالابْتِدَاءِ . فَلَوْ قُلْتُ : كُلُّهُمْ لَمْ يَأْتِنِي وَلَكِنْ أَتَانِي بَعْضُهُمْ . وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
وَلَكِنْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ لَمْ يَجُزْ لَأَنََّّهُ يُوْدِي إِلَى التَّنَاقُضِ